مواطن

النشرة الشهرية — أكتوبر 2024

سأظل أناضل لاسترجاع الوطن".. عن أدب المقاومة بين درويش وغسان

خلص الأديب الفرنسي ألبير كامو في كتابه الإنسان المتمرد، إلى أنه على الإنسان التمرد في مواجهة الواقع، وإن كان الواقع يقر احتلالًا، وإن لم نكن قادرين على تغييره؛ فعلينا بعدم الاستسلام له والبحث عن الحرية. استوحى الأديب الفرنسي أفكاره من مشاركته في المقاومة

بقيادة مصر والمغرب والإمارات.. انتعاش التبادل التجاري بين العرب وإسرائيل في 2024

تواجه الصحافة العمانية الكثير من التحديات، شأنها شأن الصحافة العربية والعالمية بوجه عام، والتي وجدت نفسها في منافسة غير متكافئة مع وسائل التواصل الاجتماعي والسباق الالكتروني، عبر منصات وتطبيقات لنشر الخبر بأشكاله المختلفة؛ مكتوبًا أو مرئيًا أو مسموعًا.

وتأتي التحديات المالية لتزيد من حجم المعاناة؛ خاصة وأن

تحديات وعقبات تواجه الصحافة العمانية.. فهل يعالجها قانون الإعلام المرتقب؟

فلسفة النظام الأبوي.. خرافات وأساطير شائعة

شبكة مواطن الإعلامية

مقرها العاصمة البريطانية لندن تأسست في السادس من يونيو سنة ٢٠١٣. "مواطن" ترصد أحداث المجتمع وتهتم بقضايا المواطن في الخليج والعالم العربي

المدير التنفيذي رئيس التحرير

د. محمد الفزاري

الرجاء الضغط على الصورة أو عنوان المقال ليتم تحويلك إلى المقال في موقع مواطن

أحضان النجاة.. دعم الأسر لبناتهن المتعرضات للابتزاز الإلكتروني يجنبهن الانتحار

رضوى حسني

تقف وحيدة ليلاً على جانب الطريق، عازمة علىإنهاء حياتها تحت عجلات إحدى السيارات المسرعة، قبل أن تُفاجأ بزميل لها في اللحظة الأخيرة معترضاً طريقها، متشككاً فيما يدور بخَلَدها. لم تكن تلك محاولة الانتحار الوحيدة لوعد (اسم مستعار)، التي عانت الابتزاز الإلكتروني لسنوات، ومع ذلك لم تلجأ إلى أهلها -حين ابتزها الشاب- خوفاً من أن تصبح ضحية جريمة شرف.

تعود أحداث القصة إلى عام ٢٠١٩، عندما ارتبطت وعد عاطفيّاً بأحد زملائها؛ ولكن بعد فترة من العلاقة شعرت بعدم الأمان، وقررت الانفصال عنه، لكنّه رفض ذلك بشكل صريح، وحاول ابتزازها عاطفيّاً. وأمام تمسكها بقرار الانفصال، بدأ بملاحقتها ليس فقط في نطاق حيها السكني، بل أيضاً في أحد شوارع وسط القاهرة، بعد انتهائها من حضور إحدى الفعاليات.

الخوف من الأهل إهدار للحقوق

وعد واحدة من فتيات مصريات يتعرضن للابتزاز الإلكتروني، وبدلاً من التوجه إلى مباحث الإنترنت للإبلاغ عن تلك الجرائم، يستسلمن إلى تهديدات المبتز أو يُقدمن على الهروب أو الانتحار. ويرجع ذلك -في بعض الحالات- إلى خوف الفتاة من مواجهة أسرتها

مايا ياغي

يعيش اللبنانيون رعبًا مستمرًا لا يتوقف منذ ما يُقارب الأسبوعين، أصوات الصواريخ واللهيب المشتعل يحرق قلوبهم كما يحرب سماء بيروت، لا يستطيع طفل أو شيخ النوم، لا يمكنهم الهروب من الخوف المستمر، حتى لو داخل مراكز الإيواء؛ فلبنان، هذا البلد الصغير ضاق بأهله أمام الوحش الكاسر الذي لم يتوقف ولم يستطع أحد إيقافه، وحش يتخبط يمينًا وشمالًا وفي كل حركة يحصد أرواح المئات، مئات أصبحوا آلافًا من الشهداء وآلافًا من المصابين، وملايين الأرواح المعذّبة العاجزة عن فعل شيء سوى الصبر والصمود.

يغلق "عليّ" -طفل لبناني نازح- أذنيه وهو جالسٌ في زاوية الصف، صفوف لم تعد للدراسة، ومدارس فتحت أبوابها لتأوي من شرّدتهم همجية الاحتلال الإسرائيلي

ابتسام مهدي

بالعادة عند سماع كلمة سجن، يتبادر لذهنك مجرمون خارجون عن العدالة، وشرطة، وسجان، وأبواب مُوصدة، ولكن في غزة اختلف الأمر، أصبح السجن ملجأ للعائلات بحثًا عن الأمان؛ فمن ضمن رحلة النزوح التي لا تهدأ ويعيشها الغزيون منذ ٧ من أكتوبر/تشرين الأول الماضي، بحثًا عن الأمن، لجأوا لسجن "أصداء" هربًا من بطش الاحتلال ومجازره.

كل ذلك نتيجة طلبات الإخلاء المتكررة من جيش الاحتلال، مع انعدام فرص وجود فصول دراسية أو منازل أو حتى خيمة خالية؛ فأغلب مناطق قطاع غزة حولها العدوان المتكرر عليها إلى مناطق غير صالحة للسكن.

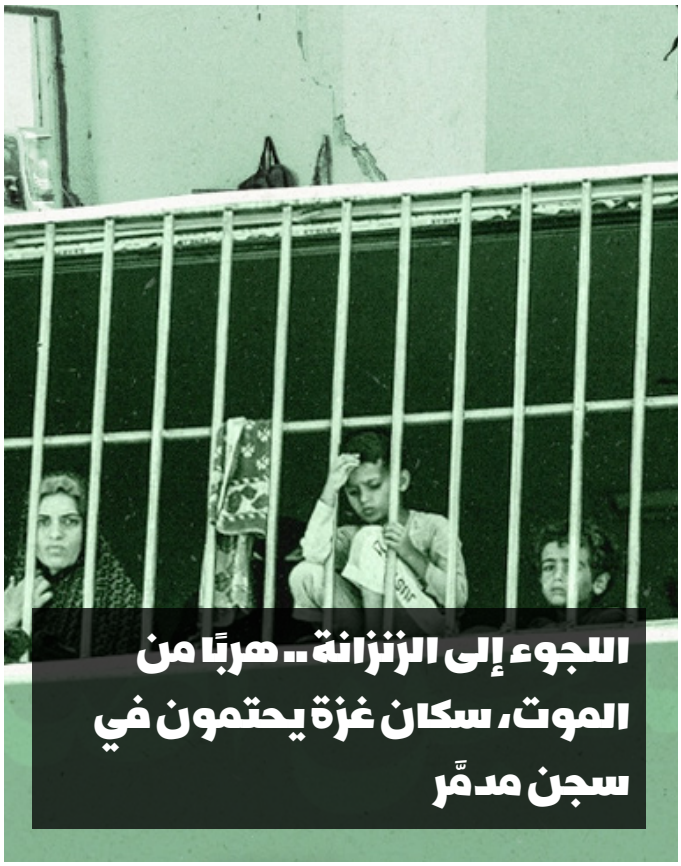

أشعر أنني مقيد وكأنني ملكية" خاصة في يد الكفيل".. معاناة العمل في الخليج

رشا عمار

تعرض محمد السيد في إحدى المرات لحادث أثناء العمل، وبدلًا من أن يتم نقله إلى المستشفى بشكل عاجل، طُلب منه الاستمرار في العمل حتى نهاية اليوم. شعر حينها بالإهانة الشديدة، وكأنه لا يساوي شيئًا. لم يكن لديه أي تأمين صحي يغطي إصابته، وعندما حاول المطالبة بالرعاية، لم يجد من يستمع إليه. أصبحت إصابته مصدر ألم دائم، ولكنه كان مضطرًا للاستمرار في العمل.

قبل نحو ١٠ سنوات سافر السيد للعمل في مجال المعمار بإحدى دول الخليج بحثًا عن مصدر دخل وحياة أفضل، ليعيش فترة قاسية وصعبة مع نظام الكفالة الذي ينظم العمل هناك، ويصف سنواته العشر بأنها الأسوأ في حياته، بسبب الضغوط والظلم الذي تعرض له خلالها، لكنه مضطر للتحمل ولا يملك أي خيار للعودة

بين القمع الجندري والتغير المناخي".. لماذا على النسويات الدفاع عن حقوق البيئة؟

سارة فضل

في عام ١٩٧٧، كانت وانغاري ماثاي، الناشطة البيئية الكينية، تشاهد غابات بلادها وهي تتلاشى ببطء، في حين كانت الأسر الريفية تكافح للحصول على خشب الحطب والمياه، فبدأت "ماثاي" في حشد النساء لزراعة الأشجار واستعادة الأرض، وأسست حركة الحزام الأخضر، وهي منظمة بيئية شعبية ساعدت النساء وأسرهن في زراعة ٤٠ مليون شجرة في أنحاء كينيا، بغرض حماية البيئة وتعزيز سبل العيش المستدامة. لم يكن الأمر مجرد زرع أشجار، كما أن هذه الحركة لم تكن مجرد جهد محلي؛ بل كانت شرارة لولادة سياسات وأفكار جديدة، عُرفت لاحقًا باسم "النسوية البيئية". وعلى الرغم من

أحب الأطفال، لذا لا أريد الإنجاب"، لماذا تحوّل الكثير من الشباب العرب نحو اللا إنجابية؟

غدير برهوم

في مجتمعاتنا العربية، يعدّ الإنجاب أحد أعمدة الحياة الأسرية، وهو متجذر في الثقافة والدين باعتباره هدفًا ساميًا للزواج واستمرارية الحياة. ومع ذلك، تتزايد ظاهرة اللا إنجابية بين فئات الشباب، وهو ما يثير تساؤلات حول أسباب هذا التحول. لماذا يتخذ البعض قرار عدم الإنجاب رغم محبتهم للأطفال؟

يخبرنا سامي: «من الطريف أنّ الجميع يوبخني لعدم زواجي، رغم أنّ لدي منزلًا وسيارة، لدرجة أن جارتنا الثمانينية تسخر مني كلما مررتُ بباب بيتها «ما نفع شهاداتك دون أولاد؟»».

اللا إنجابية في التاريخ الإسلامي

يرفض الدين الإسلامي فكرة عدم الإنجاب؛ حيث يسعى في أحد جوانبه إلى الانتشار والكثرة العددية، كما في قول النبي محمد: "تناسلوا فإني مفاخرٌ بكم الأمم يوم القيامة"؛ سواء أكان بهدف مواجهة الأخطار، أو إعمار الأرض وفق الأفكار والتوجهات والظروف المختلفة في كل عصر. ولكن في الوقت نفسه نرى الكثير من أئمة الإسلام

سأظل أُناضل لاسترجاع الوطن"..عن أدب" المقاومة بين درويش وغسان

سالي علي

خلص الأديب الفرنسي ألبير كامو في كتابه الإنسان المتمرد، إلى أنه على الإنسان التمرد في مواجهة الواقع، وإن كان الواقع يقر احتلالًا، وإن لم نكن قادرين على تغييره؛ فعلينا بعدم الاستسلام له والبحث عن الحرية. استوحى الأديب الفرنسي أفكاره من مشاركته في المقاومة ضد الاحتلال النازي لفرنسا في ١٩٤٠ .

وبين تداعيات الأحداث الراهنة جراء العدوان الإسرائيلي على غزة، أجد نفسي في مداد استحضار أشعار محمود درويش وكلمات غسان كنفاني،كونهما جزءًا لا يتجزأ من النضال الفلسطيني ضد الاحتلال، ونماذج واضحة على علاقة الأدب بالمقاومة؛ فَشعرُ الأول يُلهمني بالتفاؤل والصمود، بينما تدفعني كتابات الثاني إلى روح التكاتف والتضامن في مواجهة القمع. وهناك نماذج متعددة، إلا أنني اخترتهما نظرًا لاختلاف موقفهما، على الرغم من وحدة الهدف.

يقول محمود درويش عن غسان كنفاني: "حين نعتنا بأننا أدباء مقاومة لم نكن نعرف أننا نكتب أدبًا مقاومًا، وإنما نكتب أدبًا نعبر فيه عن واقعنا". فكانت هذه الجملة تمهيدًا للتعرف عن قرب على ماهية أدب المقاومة، وهو أدب يسعى لتشجيع الوعي والتغيير الاجتماعي والسياسي. فكيف برزت القضية الفلسطينية في أدب الثنائي؟

فلسطين في شعر درويش

يمتاز الأدب بالرمزية، ويمكن فيه للعلامة أن تأخذ عدة معان أعمق من وجودها مجردة خارج نص أدبي؛ فصرصار كافكا يعبر عن تفسخ حالة الإنسانية في العالم المادي ذات الطابع الحداثي، و سبعة أجيال من عائلة بوينديا التي تعيش في بلدة ماكوندو في رواية "مائة عام من العزلة" لجابيريل جارسيا ماركيز، تعكس تاريخ كولومبيا، وهكذا يمكن التعاطي مع الأدب، وأن لعلاماته معان متعددة.

وعند ذكر الزيتون في شعر درويش لا يبدو الأمر عاديًا، لكن بالعودة للسياق الثقافي الفلسطيني، نجد سردية تقول إنه بينما يرحل كبار السن، تبقى شجرة الزيتون متجذرة في أعماق الأرض، تزداد قوة وثباتًا. هذا ما يعتقده الفلسطينيون عن أشجار الزيتون التي سعى الاحتلال لتجريف مساحات زراعتها واقتلاعها من الأرض؛ في واحدة من محاولات الطمس الثقافي لهوية الأرض المحتلة، ومن هذه العلاقة المضادة بين صاحب الأرض والمحتل، جاءت كلمات درويش عن هذا: "لو يذكر الزيتون غارسه لصار الزيت دمعًا، يا حكمة الأجداد، لو من لحمنا نعطيك درعًا، لكن سهل الريح لا يعطي عبيد الريح زرعًا".

كما حضر الزيتون بدلالات الصمود والهوية، لم يحضر البحر الأبيض المتوسط في أشعاره كمجرد بحر؛ بل كشاهد على الحب والحزن والشوق للوطن فقال: "و ساحل المتوسط اخترق الأبد، لا توقفوني عن نزيفي ساعة الميلاد، قلدت الزّمان، وحاولتني كنت صعبًا، حاولتني كنت شعبًا حاولتني مرةً أخرى".

وحضرت القدس بكثرة في أعماله، واعتبرها قلب فلسطين؛ بل وجعلها محورًا مهمًا في أشعاره، نظرًالأهميتها التاريخية والدينية؛ حيث قال عنها: "هي الشوق إلى الموت من أجل أن تعيد الحق والأرض، وليس الوطن أرضًا فقط؛ بل هو الأرض والحق معًا". وتعد القدس مركز الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وأعتقد أن العمق الثقافي الفلسطيني في أعماله جعل منه شاعرًا له مكانة خاصة في الأدب.

فلسطين في روايات غسان

تمتاز البيئة الفلسطينية بالقدرة على منح كل العلامات دلالة الصمود، ومثلما حضر الزيتون كرمز مقاومة، نجد العود أيضًا يحمل نفس الدلالة في كتابات كنفاني؛ فالموسيقى تمسك بالحياة والإبداع في وجه المحتل، وهذا الحب للحياة والمقاومة، أوضحه بإحدى رسائله إلى غادة السمان، قائلًا: "أنا من شعب يشتعل حبًا، ويزهو بأوسمةِ الأقحوان، وشقائقِ النعمان على صدره وحرفه، ولن أدع أحدًا يسلبني حقي في صدقي".

ومثلما كان يتمسك بحقه في الحاضر، تمسك بحق الأطفال في المستقبل؛ فقال بإحدى مقالاته الصحفية بجريدة الهدف التي ترأس تحريرها : "الأطفال هم مستقبلنا" وقال أيضًا في روايته: عائد إلى حيفا: "كل دموع الأرض لا تستطيع أن تحمل زورقًا صغيرًا يتسع لأبوين يبحثان عن طفلهما المفقود". أي أن خسارة طفل خسارة لا توضع، هي بمثابة خسارة للغد وألم اليوم. والجدير بالتأمل هنا أن أوجاع الشعب الفلسطيني لم تختلف عبر الزمن، وما زال إلى اليوم الزيتون يقلع، والأطفال تقتل.

وكأغلب الفلسطينيين لم ينج الثنائي من تجارب السجن والاعتقال، وهو الأمر المستمر تجاه الفلسطينيين إلى اليوم، وعكس ذلك في أعمالهما من نقل صورة القمع والانتهاكات، وقال كنفاني بإحدى مقابلاته: "إن ضرب السجين هو تعبير مغرور عن الخوف". ويعد ذلك ملخصًا لرؤية كنفاني، محللًا القمع الإسرائيلي، بالخوف المغرور.

مواضيع ذات صلة

أما عن الأسلوب الأدبي؛ فقد اشتهر غسان بأسلوب السرد الشديد الواقعي والوصف الدقيق؛ في حين نرى كيف كان محمود يتميز بلغته الشعرية الجميلة. كما نجد أن كنفاني كان يركز على تصوير الحياة اليومية للفلسطينيين تحت الاحتلال، بينما درويش ركز أكثر على عواطف الحنين والشوق والأمل، ونقطة ثالثة للاختلاف، وهي أن كنفاني تحدث بشكل أكبر عن السياسة والحقوق الإنسانية؛ بينما درويش ركز بشكل أكبر على العاطفة.

بين الدبلوماسية وحمل السلاح

يعكس أدب الثنائي اتجاهين مختلفين ومتقاطعين للمقاومة، وفي رواية غسان : ما تبقى لكم ، أكّد من خلالها موقفه بأنه لا يوجد حل لعودة الفلسطينيين إلا بالعمل الجماعي، وبأن اللجوء في المخيمات ليس حلًا، لقد كان غسان مدركًا وواعيًا لحقيقة مطلقة، مفادها بأنّه لا يمكن الاعتماد على أنّ الدول العربية ستحارب لعودة الفلسطينيين، وهي نفسها التي لم تسمح لهم بتشكيل تنظيمات.

وتعتبر قصيدة درويش الشهيرة "سجِل أنا عربي"، المثال الأبرز عن التمسك بالهوية العربية، وأشارَ من خلالها لضرورة إسهام الفلسطينيين مع غيرهم من العرب في بناء تاريخيّ يهدف إلى تحرير الأرض .

وفي فترة الستينيات، انضم درويش إلى حركة التحرير الفلسطينية ولعبَ دورًا مهمًا حينها في النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي، كان ناشطًا سياسيًا ومشاركًا بالعديد من الفعاليات السياسية والنضالية لصالح حقوق الفلسطينيين، وكان دائمًا يدعو للحوار والتسامح، إضافة إلى أنّه كان لديه رؤية إيجابية حول مستقبل المنطقة آنذاك .

على عكس غسان كنفاني الذي انخرط كثيرًا في العمل السياسي والتنظيمي أواخر ستينيات القرن الماضي، وساهمَ برسم وتوضيح توجهات وسياسات الجبهة الشعبية آنذاك، والتي ارتكزت على الكفاح المسلح والعمليات الفدائية؛ فأصبحت بمثابة نهج ثابت لا تحيدُ عنه، وذلك من أجل تحرير فلسطين. وكان يرى أن القضية جزء لا يتجزأ من الحركة العالمية نحو العدالة الاجتماعية، وأسهم بنقل الأمل والصمود وكان يشجع على مواصلة النضال من أجل الحرية والكرامة رغم الصعوبات، وبالأخص نلتمس ذلك حين قال: "هذا العالم يسحق العدل بحقارة كل يوم"، من كتاب أرض البرتقال الحزين.

وعلى الرغم من الاختلاف في رؤية التحرر الفلسطيني بين العمل السياسي والمقاومة بالسلاح، إلا أنهما مساران متقاطعان، إذ يعمل كلاهما على خدمة الآخر، والمقاومة المسلحة إن لم تنطلق من هدف سياسي وتسعى لتحقيقه؛ فهي مقاومة عدمية لا تؤول إلى أي شيء، كالمسار السياسي بدون قوة الأمر الواقع، قد يفضي إلى دور مسرحي ينتهي بفشل أي تفاوض.

فبين قلم غسان كنفاني الذي خاض معركة النضال ضد الاحتلال بقوة الكلمة والسلاح، وبين قصائد محمود درويش التي خطّت الألم والأمل بحروفٍ ملتهبة بالشوق للحرية، نجد أنفسنا أمام أدب يتجاوز الحدود، أدب يصرخ بوجع الأرض السليبة، ويعانق السماء بطموح الحرية. ولا أجد أكثر براعة في تصوير الحنين والشوق للوطن المفقود والمناطق التي يُحرم من زيارتها بسببِ الاحتلال من قول درويش بغصّة ضمن ديوانه الشعري؛ في حضرةِ الغياب: "الحنين وجعٌ لا يحنُّ إلى وجع". كما لا يغيب عن أذني في تلك اللحظة كلمات غسان "سأظل أُناضل لاسترجاع الوطن لأنّه حقي".

من الصومال إلى أوروبا: أوديسة الهروب من الحرب وأهوال الاتجار بالبشر

محمود السبكي

تستيقظ كل الآلام التي مر بها الصومالي علي عبدي عمر، طفلاً وشابًا، حين هرب من أتون الحرب في الصومال إلى ليبيا ثم بلجيكا، في رحلة شاقة لا تصدق. تمر ابنة عمه، ساكادا، المختطفة في ليبيا بالأهوال نفسها التي تكبدها هناك طوال فترة الأسر، وهو يبحث عن سبيل لإنقاذها عبر جمع مبلغ فدية الـ ١٠ آلاف دولار التي طلبها الخاطفون، بعد تخفيضها حيث كانت ٢٠ ألف دولار. رغم حياته المستقرة نسبيًا تطارده ليلاً كوابيس المآسي التي عاشها هناك مختلطة بآلام ابنة عمه المستمرة.

رحيل في الظلام

كان "علي" عام ٢٠١٦ مجرد طفل نحيل شبّ قبل أوانه، تشي عيناه المتوقدتان بعزم وتصميم، يدفعه خوفه الذي لازمه في كل خطوة من سنيّ حياته القصيرة إلى الإصرار على النجاة. بدأت محنته في سن الثانية عشرة، وانتهت بعد سنوات بندوب نفسية وجسدية يصعب شفاؤها. كانت تجربته أكثر من قصة هجرة مأساوية؛ هي قصة عذاب حقيقية.

انطلق "علي" في رحلة مروعة ستأخذه عبر طريق خطرة من قريته قوريولي (١٢٣ كيلومترًا جنوب غرب العاصمة مقديشو، و٢٣ كيلومترًا غرب مدينة مركا الساحلية) إلى بروكسل، واستمرت هذه الرحلة لمدة عامين. كان هروبه مدفوعًا بمقتل والده المأساوي على يد حركة الشباب المسلحة المرتبطة بالقاعدة، بعد أن رفض التعاون معهم.

كان "علي" في الثانية عشرة من عمره عندما جندت حركة الشباب والده، ثم قتلوه لأنه لم يستطع التوفيق بين أفكاره وأيديولجيتهم. وعندما جاءت الجماعة لإبلاغ أم "علي" بمقتل زوجها، ولإخبارها بأن على "علي" الابن الأكبر أن يحل محل والده، توسلت إليهم الأم من أجل تأجيل ذلك، لكن "عليًا" قال لأمه إنه يفضل الموت على الانضمام إلى تلك الجماعة؛ فردت عليه قائلة: "أنا أيضًا أفضل أن تموت على أن تعمل معهم".

في صباح اليوم التالي، أيقظت الأم عليًا مبكرًا، لتساعده على الهرب، فقال لها بينما كان يستعد للمغادرة: "لن أرجع هذه الأرض أبدًا"، وبدأت رحلة "علي" برحيل مؤلم من وطنه، تاركًا وراءه ١٠ أشقاء ووالدته، هاربًا من تهديدات حركة الشباب؛ حيث تنقل عبر الصومال وكينيا وإثيوبيا والسودان وليبيا، مدفوعًا بوعد الوصول إلى الجنة الأوروبية الموعودة.

استقل الحافلة إلى العاصمة مقديشو، وفي محطة الحافلات المركزية، التقى بأحد مهربي البشر يدعى محمدًا، أخذه إلى منزل فوجئ فيه "علي" بأربعة وجوه مألوفة من قريته -أمينة ومحمد وخضرة وأشيم-؛ فغمره الفرح؛ حيث جميعهم متجهون إلى نفس الوجهة؛ فعانقه كل منهم فرحين بلقاء دافئ حميم غير متوقع، وغمرت السعادة "عليًا" بصحبة هذه الرحلة الصعبة، مع رفاق يعرفهم جيدًا.

وبعد استقرارهم قال المهرب محمد لعلي. "إذا اعتقلتنا الشرطة؛ ستقول إنني عمك. أنا أثق بك، وعليك أن تنفذ كل ما أطلبه منك".

رعب في الصحراء

حُشر الأصدقاء الخمسة في مؤخرة سيارة، وغادروا إلى نيروبي مع آخرين في نفس الليلة مع مهرّب جديد. لم يتم إيقافهم من قبل الشرطة على طول الطريق؛ بل طلبت منهم مواصلة الرحلة.

بعد ٣ أيام من الهروب المتواصل، توقفوا ليلاً، وكان اثنان من مهربي البشر في انتظارهم ليعبروا بهم الحدود.

في الليلة الثانية، كان "علي" وأصدقاؤه مجهدين، لكنهم أجبروا على تناول المخدرات من المهرب حتى يستطيعوا مواصلة رحلة الهروب. تقيأت أمينة ولم تستطع مواصلة السير وقالت: "لا أستطيع المواصلة، اتركوني هنا"؛ فضربها المهرب بعصاه؛ فاضطر "علي" إلى حملها على ظهره، والمهرب خلفهم يسوقهم ويضربهم إذا توقفوا.

اضطر "علي" وأصدقاؤه إلى عبور الصحراء؛ يسيرون ليلاً وينامون نهارًا لمدة ثلاثة أيام. ثم ثلاثة أيام أخرى يعبرون الصحراء في سيارات جيب دون طعام أو ماء، وفي الليلة الثالثة اضطروا إلى الركض حيث كانت هناك سيارة تنتظرهم في الساعة ٧ صباحًا لنقلهم إلى الكُفرة.

تعذيب في الكفرة

ليبيا، بوابة الجنة إلى أوروبا، كشفت فصلاً كابوسيًا لعلي؛ حيث وجد نفسه فيها محبوسًا في مستودع مع ٤٠٠-٥٠٠ مهاجر، في براثن شبكة لا ترحم للإتجار بالبشر، يقودها مهرب بشر سيء السمعة يدعى "وليدًا".

احتُجز "علي" وأصدقاؤه في ذلك المستودع غير الآدمي في الكفرة (جنوب شرق ليبيا، على بعد ١,٧١٢ كيلومترا من طرابلس)، في تعذيب يومي، وتعاطٍ قسري للمخدرات، مع تجويع متعمد وواقع مرير.

وعن طريق مترجم صومالي، توجه وليد إلى "علي" سائلاً باللغة العربية: "أين الـ ٥ الجدد؟ لقد قطعتم شوطًا طويلاً وما زال الطريق أمامكم طويلاً. أنا هنا لمساعدتكم ولن يستطيع أحد مساعدتكم كما أفعل. كل شيء هنا ملكي، وبفضلي ستصلون إلى البحر وتغادرون إلى أوروبا، وحتى ذلك أنتم ملك لي".

طلب وليد من "علي" ومجموعته دفع ٦٠٠٠ دولار أمريكي؛ فقد كان ذلك متفقًا عليه قبل مجيئهم؛ فاضطروا إلى دفع ٣٣٠٠ دولار أمريكي بعد تعرضهم للتهديد بالتعذيب إذا لم يقوموا بالدفع.

أما المهاجرون فإنهم حين يصلون إلى المستودع يصبحون مثل طيور في قفص، لا يستطيعون الخروج إلا بإذن من المهربين، ثم يقوم المهربون بفرزهم حسب جنسياتهم، ولكل جنسية ثمن.

في هذه المستودعات، يمكن أن تباع إلى مهربين آخرين أو إلى الشرطة الليبية، ثم تقوم الشرطة ببيعك مرة أخرى إلى وليد وعبد السلام وكيدان... الخ.

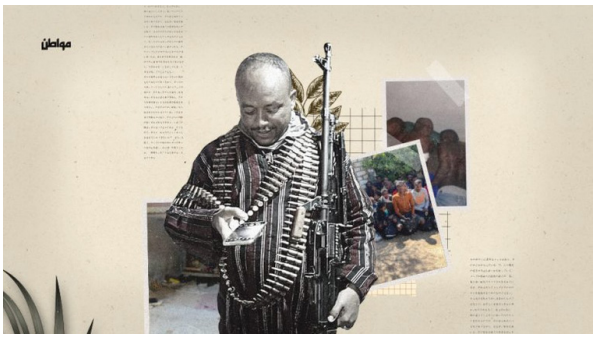

طلب الفدية

والخطوة التالية في رحلة العذاب تلك كانت الاتصال بعائلات المهاجرين لدفع الفدية للمهربين. ويهددهم وليد قائلاً: "إذا دفعتم، لن أؤذيكم" .

أعطى "علي" الرجل الصومالي الذي يعمل لدى وليد رقم والدته للاتصال بها. قال "علي" لأمه: "عليكِ أن تدفعي يا أمي ٩٣٠٠ دولار. عليك أن تدفعي يا أمي". أكدت الأم المسكينة لعلي أنها ستدفع، لكن عليه أن يمهلها وقتًا.

كانت معاملة الصوماليين مميزة عن الآخرين،" وغالبًا ما يتم احتجازهم لتحقيق مكاسب مالية؛ في حين يتعرض الأفراد من أماكن مثل غينيا لممارسات استغلالية، أو تحويلهم إلى عبيد وإجبارهم على العمل".

وبينما كان يتعرض للضرب والصراخ، كان "علي" يتوسل إلى والدته لدفع المبلغ للمهرب وليد؛ فلن يتوقف التعذيب إلا إذا دفعت الأسرة المال".

يقول"علي": كنا نعيش على قطعة خبز وكوب ماء فقط يوميًا، وويل لمهاجر يكتشف المهربون أن له أقارب في أوروبا، حينها يتم ابتزازه ليدفع أموالاً أكثر من المتفق عليها، حيث أعرف أشخاصًا دفعوا ١٤٠٠٠ يورو، وآخرين دفعوا ١٥٠٠٠ و ١٦٠٠ و١٧٠٠٠ يورو، ورأيت أحدهم في البحر يدفع المتفق عليه ثلاث مرات؛ فكان هؤلاء بمثابة كنز للمهربين.

لذلك كان من الخطأ أن يذكر أحد المهاجرين أن لديه أقارب في أوروبا.

يقول "علي" متذكرًا: "أثناء إقامتنا في المستودع، كان وليد يجبرنا على تعاطي المخدرات، وعليك أن تدخن المخدر الذي يريدك أن تدخنه، وسوف تدخن كلما أراد وليد أن تدخن، لأنك ملك له".

كان المهربون يسعون بشدة لتحقيق أقصى استفادة من المهاجرين؛ فإذا كنت تتحدث العربية؛ فسوف يجعلك تعمل لديه مترجمًا، وكذلك إذا لم تدفع؛ فسوف يجعلك تعمل لديه".

يروي "علي" عن وافد صومالي جديد، وصل في وقت لاحق ولم يكن يملك مالاً، ولكي يتجنب التعذيب ادعى إجادة اللغة الإيطالية، ووجد نفسه مجبرًا على على إلحاق الأذى بزملائه الصوماليين.

حب وسط الجحيم

خلال إقامة "علي" في مستودع تخزين المهاجرين التابع لـ وليد، التقى بليلى، وهي فتاة صومالية تبلغ من العمر ١٢ عامًا، وسط معاناة لا يمكن تصورها، تشبث علي وليلى بحبهما، لكنه كان حبًا هشًا في ذلك المشهد البائس؛ فماذا سيحدث لو لم ينج "علي"، الذي أصبح ممزقًا بين الحب، وبين والتوق اليائس للهروب، وأخذ يفرغ مشاعره في أغنية "منارة الأمل" لعله يخفف عن نفسه وسط ركام اليأس.

وفي غفلة من المهربين، تمكن أصدقاؤه، واحدًا تلو الآخر، من الفرار، انسحق "علي" تحت ثقل فراقهم، وأخذ يصارع خيارات مؤلمة؛ إما البقاء مع ليلى في ذلك الجحيم، أو الشروع في رحلة محفوفة بالمخاطر نحو مستقبل غير مؤكد. تتفهم ليلى شوقه وتتوسل إليه أن ينتظر، وحبها ممزوج بمرارة حقيقة وضعهم البائس.

كيف يكون ذلك ممكنا؟" يقولها "علي" وهو يبكي حاله" الذي أصبح عليه، وقد ملأ اليأس صوته، يتمزق بين حبه والبقاء مع ليلى، وبين الفرار إلى مستقبل مجهول. إن قسوة حالهم تكشف استحالة تحقيق ما يريدون؛ فالحب ذو القوة الجبارة، يصبح عاجزًا أمام وضعهم الكئيب.

وتظل تلك الندوب العميقة، وعذاباتهم العاطفية تتفاقم في صمت وتسمم معنوياتهم.

يرسم نداء ليلى صورة مؤثرة للحب الذي يكافح من أجل البقاء في مواجهة المصاعب التي لا يمكن تصورها. إنها قصة تضحية ويأس وخيارات مؤلمة فرضت على أولئك الذين وقعوا في مرمى نيران الحرب.

بعد عام تقريبًا، تمكنت والدة "علي" من تأمين المال عن طريق بيع قطعة أرض مملوكة لهم، لدفع ثمن إطلاق سراح ابنها، لكن "عليًا" ظل يتعرض للابتزاز وسوء المعاملة حتى اليوم الأخير. وقد ضمنت مدفوعات والدته اليائسة إطلاق سراحه، وقرر "علي" المغادرة دون ليلى، ودون وداع، وبدأ أولى خطواته التالية في رحلته إلى المجهول.

تحديد هوية الجناة

تسلط تجربة "علي" مع المهرب سيئ السمعة، Tewelde G. Welid، "وليد" المعروف أيضًا باسم الضوء على شبكات الإتجار بالبشر؛ فمطالبة مهربي البشر بالمال والتعذيب اللاحق الذي تعرض له "علي" ومن معه يكشف الطبيعة القاسية لهؤلاء المجرمين، والعلاقة الوثيقة بين شبكات تهريب البشر وبعض أفراد السلطات الليبية، والتي تشكل مرحلة أخرى في الواقع المرير الذي يواجهه المهاجرون. وليد الذي يواجه محاكمة في هولندا في الوقت الحالي، كان معروفًا بين المهاجرين القادمين من إريتريا وإثيوبيا والصومال. ذكر اسم وليد عدة مرات من قبل العديد من المهاجرين واللاجئين الذين قابلتهم. وليد هو مهرب في شبكة الإتجار بالبشر بين إثيوبيا وإريتريا والصومال، إلى جانب مهربين آخرين مثل عبد السلام، جابر وكيدان.

مواضيع ذات صلة

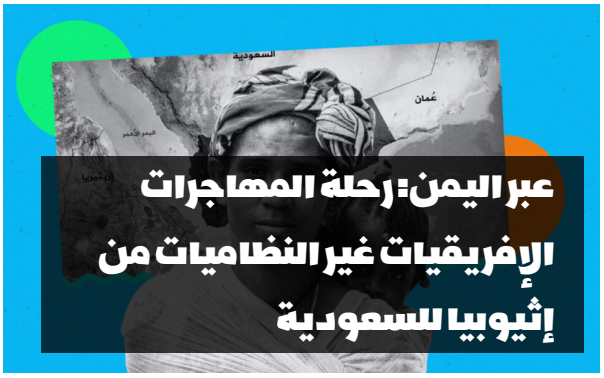

وقد اعتاد المهربون (وليد وكيدان وجابر وعبد السلام) معاقبة المهاجرين الذين لا يستطيعون دفع الأموال، بأن ينتهي بهم المطاف في إحدى المزارع؛ حيث يحتجزون حتى وصول الفدية. ولأن المهاجرين يضطرون إلى الاستعانة بالمهربين للعبور مرة أخرى، ينتهي الأمر ببعضهم في الأسر عدة مرات.

يقول علي: "بمجرد أن يرى وليد رجلاً أسود البشرة، يأخذه على الفور كعبد"، وغالبًا ما يقبل المهاجرون بمقدار نفقات السفر مع وعد بسدادها بعد العمل في أوروبا. وقد وثّقت الأمم المتحدة ومنظمة إنقاذ الطفولة غير الحكومية هذه الممارسات، ومن المعروف كذلك أن الاستغلال الجنسي للمهاجرات على يد المهربين كان من أسباب عمل النساء النيجيريات بالدعارة كعاهرات في أوروبا.

وقد ذكر تقرير لليونيسف أنه "بمجرد عدم دفع الأموال من قبل للمهربين، يكون المقابل هو تسديد الفتيات تلك الديون بالإجبار على العمل في الدعارة القسرية، لمدة تصل إلى ثلاث سنوات أو أكثر".

في عام ٢٠٢١، حكم على خمسة أعضاء في عصابة نيجيرية بالسجن لعدة سنوات، لتورطهم في النقل غير القانوني إلى بلجيكا لفتيات نيجيريات صغيرات، أجبرن بعد ذلك على ممارسة الدعارة.

تلوح في الأفق مزاعم التواطؤ بين السلطات الليبية والمتاجرين بالبشر، مما يعكس المشاعر التي يشاركها العديد من المهاجرين الذين قابلتهم على مر السنين. والاعتقاد السائد بين هؤلاء الأفراد هو أن السلطات الليبية ترتبط بشكل كبير مع هذه الشبكات غير المشروعة، مما يزيد من تفاقم المخاطر التي يواجهها أولئك الذين يبحثون عن موطئ قدم في القوارب المتجهة إلى أوروبا.

رحلة بحرية محفوفة بالمخاطر

استمرت رحلة "علي" إلى بني وليد وطرابلس وساحل ليبيا. تم نقله إلى بني وليد، عائدًا عبر الصحراء، مع حوالي ٥٠ آخرين في سيارة. انتهي به المطاف في مستودع مماثل للمستودع الموجود في الكفرة. ومن بني وليد، تم نقلهم عبر طرابلس إلى قرية بالقرب من الساحل، وهناك تم اعتراضهم، لكن "عليًا" تمكن من الهروب من الشرطة.

أمضوا الليل في منزل على البحر، ثم السير لثلاث ساعات مع حوالي ١٠٠ مهاجر، ثم السير مرة أخرى عبر مستنقع لركوب قارب صغير في البحر المتوسط؛ حيث الظلام والليالي الباردة، والخوف الدائم من انقلاب القارب والغرق.

كان عام ،(IOM) وفقًا للمنظمة الدولية للهجرة ٢٠٢٣ هو العام الأكثر دموية بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين؛ حيث لقي ما يقرب من ٨,٦٠٠ شخص حتفهم. وما زال طريق البحر المتوسط هو الأكثر دموية بالنسبة للمهاجرين؛ حيث بلغ عدد حالات الوفاة والاختفاء بسببه ٣,١٢٩ شخصًا على الأقل. ويمثل هذا أعلى عدد من القتلى يسجل في البحر الأبيض المتوسط منذ عام ٢٠١٧. وظل طريق وسط البحر الأبيض المتوسط أكثر طرق الهجرة نشاطًا في عام ٢٠٢٣؛ حيث أبلغت السلطات الوطنية عن أكثر من ١٥٧,٤٧٩ حالة هروب في الأشهر الـ ١١ الأولى، وهو أعلى إجمالي على هذا الطريق في هذه الفترة منذ عام ٢٠١٦ .

بينما في عام ٢٠٢٤، سجل طريق وسط البحر الأبيض المتوسط انخفاضًا كبيرًا في الأشهر الأخيرة. وخلال الفترة من كانون الثاني/يناير إلى آب/أغسطس، شهد طريق الهجرة هذا انخفاضًا بنسبة ٦٤٪ في عدد العابرين، ليصل إلى ٤١,٢٥٠ شخصًا حتى ١٣ من أيلول/سبتمبر. ومع ذلك، ما زال وسط البحر الأبيض المتوسط أكثر طرق الهجرة نشاطًا إلى الاتحاد الأوروبي.

نقطة الانطلاق نحو أوروبا

عندما وصل "علي" ومن معه إلى نقطة الانطلاق على البحر، كانوا ينتظرون في طابور طويل، ثم يمشون إلى القارب الذي يبعد قليلاً في الماء، حتى وصل الماء فوق خصر "علي" الذي لا يجيد هو ومعظم الآخرين السباحة. كان القارب صغيرًا؛ ما اضطرهم إلى الجلوس فوق بعضهم بعضًا وحشرهم مثل السردين. أخذهم المهربون إلى قارب أكبر، أركبوهم فيه ثم غادروهم، تاركين إياهم يواجهون مصيرهم وحدهم. ومن ثم تولى مصريان قيادة القارب، بينما يفرغ آخرون الماء من القارب خلال الليل الذي كان قارص البرودة.

الوصول إلى مالطا وواقع اللاجئين

بعد أسبوع في البحر؛ في ١٠ من أغسطس ٢٠١٨، سمعوا صوت طائرة هليكوبتر، وبعد ذلك بقليل وأنقذت ١١٦ شخصًا، SOS Méditerranée ظهرت بعد أن ظلوا أيامًا على القارب، تمكنوا من الرسو في فاليتا، مالطا، فقط ليتم احتجازهم فيما يمكن وصفه بمراكز الاحتجاز. تكشفت الحقيقة القاسية لحياة اللاجئين في مالطا، وكشفت التحديات التي واجهها أولئك الذين يبحثون عن الحرية.

ظل يذهب من حين لآخر إلى مطعم صومالي في المنطقة؛ حيث التقي بشخص سيأخذه في النهاية إلى بروكسل.

من مالطا إلى بروكسل

اتخذ مصير "علي" منعطفا هامًا، وذلك عندما تواصل مع عبد العزيز المقيم في مالطا، والذي ينتمي لنفس قبيلة "علي"، وهو أيضًا الذي مهد الطريق بعد ذلك لرحلة "علي" إلى بروكسل.

في مطعم صومالي صغير يعج بالأحاديث المفعمة بالحيوية وأصوات مباراة أرسنال وإيفرتون، يجلس "علي" الذي خرج حديثًا من مركز الاحتجاز، مع عبد العزيز، ومع توق "علي" إلى الحرية، يتحول حوارهما حول كيفية هروب "علي". ويقترح عبد العزيز حلاً محفوفًا بالمخاطر؛ جواز سفر مزور يخرج به من مالطا.

قال لعلي: "سأحضر لك جواز سفر شخص آخر يشبهك".

على الرغم من خوفه من الطيران؛ فإن "عليًا" كان يائسًا ومصممًا على الخروج من مالطا بأي وسيلة. وأخذ عبد العزيز يدربه على كيفية الخروج من المطار، ويعلمه كيف يتعامل مع إجراءات موظفي المطار، ومن ثم يشرع في بدء رحلة المغادرة.

أكد عبد العزيز على "علي" أنه سيكون أمامه في المطار، وأن عليه أن يفعل مثله تمامًا. نجح"علي" في الخروج من المطار بسلام، وصعد الطائرة بمزيج من القلق والترقب. أقلعت الطائرة حاملة آماله وأحلامه وصموده، متجاوزة به الحدود، ويتردد في صدره الأمل والسعي لمستقبل أكثر إشراقًا.

من أعماق اليأس إلى حياة جديدة

وصل "علي" إلى بروكسل في سن ١٤؛ في ٢٣ يناير ٢٠١٩. وبدأ "علي" رحلة العمل الفني من خلال الانضمام إلى ورش الرقص والمسرح. وبدأ يرى شعاعًا من الأمل، وهو الطفل القاصر الذي افتقد ذويه حين أصبح في أشد الحاجة إليهم.

تتذكر سيسكا، والدة "علي" بالتبني حين نظمت ورش عمل للرقص والمسرح في مركز المراقبة والتوجيه، للقصر غير المصحوبين بذويهم.

قالت سيسكا: "شارك "علي" وحوالي عشرة أولاد آخرين في عرض عبّروا فيه عن أعمق مشاعرهم مع الجمهور، وتحدثوا عن مدى افتقادهم لأمهاتهم، وقرأوا القصائد، وأظهروا موهبتهم في الرقص".

بعد مرور عام، دعت سيسكا "عليًا" وصديقًا له إلى تدريب مسرحي في الحي. لم يشعر "علي" بحالة جيدة في مركز اللجوء في منطقة آردن، لكنه استمتع بشقة سيسكا الهادئة، وكان من المفترض أن يعودوا خلال عطلة عيد الفصح، لكن أزمة فيروس كورونا فرضت واقعًا خلاف ذلك.

ذكرت سيسكا أن مركز اللجوء الذي كان يقيم به "علي" فرض إقامة مؤقتة للشباب، وحينها استفسر عما إذا كان بإمكانه الإقامة معها لفترة وجيزة بسبب الأزمة الصحية المستمرة لـ COVID-١٩، اتفقت سيسكا و"علي" بشكل متبادل على ترتيب مكان دائم له للعيش معها في منزلها، من خلال برنامج الرعاية البديلة.

الدعوة إلى التغيير

بينما استقر "علي" في حياته الجديدة في بروكسل، تذكر قصته التي مثلت قدرة الروح الإنسانية على الصمود، داعيًا إلى إعادة تقييم سياسات الهجرة، وإلقاء الضوء على الحاجة الملحة إلى معالجة الأسباب الجذرية، وتقديم الدعم لأولئك الذين يتقدمون بطلب اللجوء.

ترى سيسكا "عليًا" بطلاً، والفتى الأكثر شجاعة، لأنه يريد أن تروى قصته لأولئك الذين لم يعد بإمكانهم سردها. يريد أن يعرّف أكبر عدد ممكن من الناس أن هناك كثيرًا من الأطفال مثله؛ من الشباب الذين يقومون الآن بنفس الرحلة الخطيرة، الذين يسيرون لأيام في الصحراء تحت رحمة المهربين، والذين تقطعت بهم السبل في جحيم ليبيا ينتظرون الصعود على متن قارب متهالك لعبور البحر إلى أوروبا.

قصة "علي" هي مرآة تعكس التكلفة البشرية للهجرة والحاجة إلى الإصلاح في السياسات الأوروبية. لا تروي الرحلة الصراعات الشخصية فحسب؛ بل تروي أيضًا التحديات النظامية التي تدفع أفرادًا مثل "علي" إلى رحلات محفوفة بالمخاطر.

وفي ظل القوانين الأوروبية، ما زال آلاف المهاجرين يتحسسون مساراتهم إلى الجنة الأوروبية التي يتصورونها، يحدوهم أمل تقف دونه مخاطر الغرق في البحر المتوسط أو الموت في الصحراء، أو الوقوع في يد شبكات التهريب على طول هذا الطريق، أو الاتجاه إلى شبكات أخطر وطرق أخرى أقسى لتهريب البشر.

سوشيال ميديا

مواطن
muwatin.net